

﴿وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ ٣ رجب ١٤٤٣ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ اصْطَفَى لَهُمْ مَوَاسِمَ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ، يُضَاعَفُ فِيهَا الْحَسَنَاتِ، وَيَتَجَاوَزُ فِيهَا عَنِ السَّيِّئَاتِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ»، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رُوعَاتِكُمْ».

وَمِنْ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْإِيمَانِيَّةِ: الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهَا إِجْمَالًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، وَبَيْنَهَا نَبِيْنَا ﷺ تَفْصِيلًا فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ شَهْرٍ مُضَرَّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ». وَالْأَشْهُرُ الْحُرْمُ لَهَا حُرْمَةٌ وَمَكَانَةٌ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾. فَالْإِسْلَامُ لَيْسَ مُتَشَوِّفًا لِلْقِتَالِ وَلَا لِسَفْكِ الدِّمَاءِ، بَلْ إِنَّهُ يَكْفُ عَنْهَا مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَيَجْنَحُ لِلسَّلَامِ وَيُؤَكِّدُ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ كِتَابِ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حِينَ سَارَ إِلَى الْحَرُورِيَّةِ، يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ

أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ يَنْتَظِرُ، حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، أَهْزِمْنَاهُمْ، وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».

إِنَّ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ رِسَالَةٌ سَلَامٍ وَوِثَامٍ، وَغَايَتُهَا سَعَادَةُ الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لِلْأَشْهُرِ الْحُرْمِ مَزِيَّةٌ عَلَى مَا عَدَاهَا؛ فَنَاسَبَ أَنْ يُبَدَأَ بِهَا الْعَامُ، وَأَنْ تَتَوَسَّطَهُ، وَأَنْ يُخْتَمَ بِهَا، وَالشُّهُورُ كُلُّهَا مَوَاسِمُ عِبَادَةٍ، وَإِنْ تَفَاوَتَتْ وَاخْتَلَفَتْ فِي الْفَضْلِ وَالْوُضَائِفِ، وَالْعُمْرُ كُلُّهُ فُرْصَةٌ عَمَلٍ وَطَاعَةٍ، وَكُلُّ يَغْدُو فَبَاعَ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا، وَكُلُّ مُسِرٍّ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

إِنَّ تَعْظِيمَ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ يَقْتَضِي الْكَفَّ عَنْ كُلِّ أَلْوَانِ التَّطَرُّفِ وَسَفْكِ الدَّمَاءِ الْمُحَرَّمَةِ وَالْمَعْصُومَةِ، كَمَا يَقْتَضِي الْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ ﷻ بِكَثْرَةِ الطَّاعَاتِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُعَمِّرَ هَذِهِ الْأَشْهُرَ وَالْأَيَّامَ بِالْإِجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، وَتَرْكِةِ الْأَنْفُسِ بِالطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. فَالليالي فِي سَيْرِهِنَّ مُسْرِعَاتٌ، وَالْأَيَّامُ فِي انْقِضَائِهِنَّ ذَاهِبَاتٌ، وَالْأَعْمَارُ فِي سَيْرِهِنَّ مُنْتَهِيَاتٌ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ. فَجِدُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَأَمَامَنَا يَوْمٌ ثَقِيلٌ تَذْهَلُ فِيهِ الْمُرْضِعَةُ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ.

وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ شَهْرُ رَجَبٍ، فَمَا أَجْمَلَ أَنْ نَعْتَمِدَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «مَعَاجِمِ الثَّلَاثَةِ»، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ: «قِصَاةِ الْحَوَائِجِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» بَعْدَ تَضْعِيفِهِ فِي «الضَّعِيفَةِ»، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ

ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُهُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَكِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُشَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ».

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْمَعَاصِيَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ أَعْظَمُ إِثْمًا وَأَشَدُّ تَحْرِيمًا، كَمَا أَنَّ أَجُورَ الْحَسَنَاتِ مُضَاعَفَةٌ فِيهَا: فَإِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ قَبِيحَةً فِي كُلِّ وَقْتٍ فَإِنَّهَا فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ أَشَدُّ قُبْحًا، قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾. قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَعْظَمُ أَجْرًا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، وَالظُّلْمُ فِيهِنَّ أَعْظَمُ مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهُنَّ، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا.

فِيهَا أَيُّهَا الْمُقِيمُ عَلَى الْمَعَاصِي: أَقْصِرْ، أَقْصِرْ، تَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ يَتَبَّ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَا تَقْنَطْ وَلَا تَيَأَسْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﷻ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمَا فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (يَا ابْنَ آدَمَ: إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ: لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ

اسْتَغْفَرْتَنِي غَفْرَتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ: إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَتِيكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةٌ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ سَمَتْ نَفْسُهُ إِلَى طَلَبِ أَرْفَعِ الْمَرَاتِبِ، وَإِلَى ارْتِقَاءِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَغُفْرَانِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ بِاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ، وَاعْتِنَامِ مَا بَقِيَ مِنَ الْأَزْمِنَةِ الشَّرِيفَةِ وَالْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ الْمُبَارَكَةِ بِالْإِقْبَالِ عَلَى مَوَائِدِ الطَّاعَةِ، وَرِيَاضِ الْقُرْبَاتِ، وَالِاسْتِمْسَاكِ بِمَا صَحَّ وَثَبَتَ عَنْ سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ ﷺ، وَأَعْرِضُوا عَنْ كُلِّ مُبْتَدَعٍ لَا أَصْلَ لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

- قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى»: أَمَّا تَخْصِيصُ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ جَمِيعًا بِالصَّوْمِ أَوْ الْإِعْتِكَافِ فَلَمْ يَرِدْ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ. وَلَا أَيْمَّةَ الْمُسْلِمِينَ بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَصُومُ إِلَى شَعْبَانَ، وَلَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ أَجْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ. وَأَمَّا صَوْمُ رَجَبٍ بِخُصُوصِهِ فَأَحَادِيثُهُ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ بَلْ مَوْضُوعَةٌ، لَا يِعْتَمِدُ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَيْسَتْ مِنَ الضَّعِيفِ الَّذِي يُرْوَى فِي الْفَضَائِلِ، بَلْ عَامَّتُهَا مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَكْذُوبَاتِ.

- وَقَالَ تَلْمِيذُهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمَنَارِ الْمُنِيفِ»: كُلُّ حَدِيثٍ فِي ذِكْرِ صَوْمِ رَجَبٍ، وَصَلَاةِ بَعْضِ اللَّيَالِي فِيهِ فَهُوَ كَذِبٌ مُفْتَرَى، كَحَدِيثِ: «مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ عَشْرِينَ رَكْعَةً جَازَ عَلَى الصَّرَاطِ بِلَا حِسَابٍ».

- وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَبْيِينِ الْعَجَبِ فِي بَيَانِ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ رَجَبٍ»: لَمْ يَرِدْ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَجَبٍ، وَلَا فِي صِيَامِهِ وَلَا صِيَامِ شَيْءٍ مِنْهُ مُعَيَّنٍ، وَلَا فِي قِيَامِ لَيْلَةٍ مَخْصُوصَةٍ فِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ يَصْلُحُ لِلْحُجَّةِ.